العرقية الاوروبية

لم يعد يخفى الجذر الطبقي للعرقية حتى على المؤرخين والمفكرين البورجوازيين خاصة بعد مأساة النازية والفاشية والحرب العالمية الثانية · فهرتز يؤكد (١٠) (١١) ان العنصرية ذات جذر طبقي ولا علاقة لها في الاساس بالدم ، ويدلل على هذه الحقيقة باسبانيا ، فيقول ان الصراع الطويل بين المسيحيين والمسلمين ، أدى الى تمجيد الفضائل الحربية بين الاسبان ، والى مذهب « الدم النقي » ، اي النقي من الاختلاط بدماء المغاربة اليهود ، واصبحت الخدمة العسكرية في الجيش رمز الشرف بعد انتصار الاسبان ، في حين ظلت التجارة والصناعة والزراعة محتقرة ، لانها كانت في يد الكفرة واليهود · وقد بلغ الحماس من اجل نقاء الدم في القرن السادس عشر الى ما يشبه النازية ، وصارت الشهادات التي تصدرها محاكم التفتيش من المسوغات الاساسية لاي عمل طموح ، وبعد طرد المغاربة واليهود ادت روح العنصرية الشائعة ، وازدراء الوان النشاط الاقتصادي ، والعقلية العسكرية المسيطرة ، الى انهيار قوة اسبانيا ورخائها ·

ولا ريب ان جذر العنصرية والعرقية ، ومفاهيم الدم النقي ، والشعب المختار، يكمن في التراث التاريخي للطبقات الحاكمة التي تحاول الاحتفاظ بشكل او اخر من اشكال الرق والاستغلال والعبودية الانسانية · وكما يلاحظ هرتز بحق ان قيام الامم الحديثة اقترن بهزيمة التفتت والانقسام داخل الامة ، القائم على اساس « الدم الافضل » · وكان النزوع القومي نحو المساواة في المركز الاجتماعي يقابل على الدوام بمقاومة سافرة او متسترة وراء اغطية عرقية · ففي القرن الثامن عشر زعم النبلاء الفرنسيون والمدافعون عنهم من اعداء الامة الفرنسية الناشئة ، ان النبالة تنحدر من نسل الغزاة الفرانك ، وان العامة من نسل الرومان والغاليين المهزومين ، واتخذوا من هذه المزاعم حجة لاثبات حقهم في السلطة والحكم فيمواجهة افكار الثورة وارهاصاتها ، رغم ان هذه المزاعم لم تكن لتقف على قدميها امام حقائق التاريخ ، فقد زالت الحدود بين الاجناس تماما ابان العصور الوسطى ، نتيجة الاختلاط ، ولكن الفوارق الطبقية هي التي استمرت وتزايدت بينالنبلاء والطبقة الوسطى وعامة الشعب ، وانعكست في مفاهيم التفرقة العنصرية وادعاءات السمو ونقاء الدم ·

ووجه الخطورة ان دعاوى العرقية في عصرنا ، وخصوصا بعد هزيمة النازية قلما يكون الافصاح عنها بالشكل الصريح والفج الذي نشهده في سياسات العزل والتمييز العنصري في جنوب افريقيا وروديسيا ، بل هي اليوم اقرب الى ان تأخذ شكل الدين العلماني الذي يتخفى وراء دعاوى واقنعة علمية وتاريخية ودينية ، والعقائد الراسخة المؤسسة على العلم والاخلاق · وقد مرت تيارات العنصرية